الحارث بن ظالم المري

الوَافِي الفَاتِك

عادل جاسم البياتي
قسم اللغة العربية

حياته :ـ

هو ابو ليلى ، الحارث بن ظالم بن يربوع ، فتى بني مرة وشاعرها[1] • وجميع المصادر التى اوردت خبر الحارث ، ذكرته اما لوفائه أو لفتكه • فقد عرفت فيه خلتان : الوفاء والفتك ، وكنتا سببا فى جر معظم المصائب والاحداث التى اعترضت مسار حياته ، ثم قلبت هاتان الخلتان، الحياة فى وجهه الى سلسلة محكمة الحلقات ، من النضال الدامي، والقتال المستمر ، دفاعا عن نفسه وقبيلته وعن الآخرين الذين استجاروا به • ثم كان الحارث نفسه سببا مباشرا فى حروب ومعارك وغارات عنيفة بين عدد كبير من القبائل العربية كما ستكشف لنا هذه الدراسة بعد قليل • وهو مقاوم عنيد ، لاشكال التدخل الروماني والفارسي فى البلاد ، خلال العصر الجاهلى المتأخر أو القريب من الاسلام •

---

(١) (الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة) ومرة بطن من ذبيان والقبيلة الغطفانية الكبيرة ، وقد نبه ذكر غطفان فى الجاهلية منذ زمن متقدم ، وقد أورد ابن الاثير فى الجزء الاول من الكامل حديثا عن تاريخ هذه القبيلة وطوافها فى الجزيرة • المستقصى من امثال العرب للزمخشرى ٢٦٦/١ • وانظر النسب فى شرح الاعلم لشواهد سيبويه ١٠٣/١ ، وكذلك انظر ص٤٦ من كتاب الامثال للمفضل الضبى •

ان المؤلفين القدماء يضربون فى وفاء الحارث أمثلة متعددة • منها قصته مع المرأة ديهث المرّية ، التى استجارت به ضد الملك النعمان • وقصة نهوضه فى نجدة جاراته ، والقصتان واردتان فى تضاعيف هذه الدراسة • وليس الحارث وحده معدودا فى أوفياء العرب ، وانما يخبرنا القدماء عن آخرين معروفين بين العرب بوفائهم ، منهم السموأل الذى استودعه امرؤ القيس أدراعه ، فوفى بها ولم يسلمها ، وبسببها ذبحوا صغيره امام ناظريه ، وعوف بن محلم وابنته خماعه ، والحارث بن عباد[٢] وغيرهم •

وقد اورد المفضل الضبي فى كتابه « امثال العرب » قصة طريفة ، فيها تصوير دقيق لوفاء الحارث ، وشجاعته النادرة ، لم أجد الموضع مناسبا لتطويل البحث بها ، فمن شاء فليرجع اليها[٣] •

واما الفتك ، فهو فى اللغة القتل ، وهذا ما اتفقت عليه المعاجم القديمة ، الا ان الخلاف واقع فى تحديده كاصطلاح مستعمل فى العصر الجاهلى • ففى « لسان العرب » مادة « فتك » ان الفتك ركوب ما همّ من الامور ، ودعت اليه النفس ، والفاتك الجرىء ورجل فاتك جرىء • وقيدوه بانه القتل او الجرح مجاهرة • الا ان قسما من العلماء جعلوا القتل غرّة[٤] من الفتك ، فقال أبو عبيد : الفتك ان يأتي الرجل صاحبه[٥] ، وهو غار[٦] ، حتى يشد عليه فيقتله ، وان لم يكن اعطاه امانا قبل ذلك ، ولكن ينبغي له ان يعلمه ذلك[٧] • والعبارة الاخيرة المنصوص عليها ، لا تعطي

---

(٢) الفاخر ص٢٥٤ الميدانى ٢/٣٣٩ • المستقصى ١/١٥٤ والحيوان للجاحظ ٢/٢٤٦ •

(٣) الامثال للضبي ، الصفحات ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ مطبعة الجوائب •

(٤) اللسان (فتك) •

(٥) قال صاحبه ويريد ضحيته •

(٦) غار : غافل •

(٧) المصدر السابق •

تعريفا محددا واضحا لمصطلح الفتك، واحسبها مضطربة ولكنني افهم منها ، بعد مقارنتها بالنصوص الواردة بعدها ، ان ابا عبيد يريد بها ان الرجل اذا اعطى امانا لآخر ، فلا يحل له الفتك بـــه ، وهو أمر يتبادر الى الذهن بالبداهة ، فاذا أمنه واراد الفتك به ، فليعلمه بنيته لكي يكون على اهبة من امره • لذلك لا يعد فتكا ما فعله الملك النعمان بن المنذر بالحارث بن ظالم ، حين اعطاه الامان ثم قتله ، في رواية الكوفيين[٨] ، بل يعد غدرا •

ومما يؤكد كلام ابي عبيد ، بأن الفاتك يجب ان يعلم ضحيته ، قول الحارث نفسه ، عندما نوي الفتك بخالد بن جعفر العامري[٩] :

تعلـــم أبيت الغبن اني فتـــــك من اليوم أو من بعده بابن جعفر

وقال ابو منصور في تحديد معنى الفتك : اصله ، ما ذكر ابو عبيد ، ثم جعلوا كل من هجم على الامور العظام فاتكا[١٠] • وحدده الفراء بأنه القتل مجاهرة[١١] ، لذلك لا يعد من الفتك قول ابي عبيـــدة ، بأن يأتي ضحيته ويقتله غارا اى غافلا • لانه هو نفسه انكر ذلك في آخر التعريف •

واما الغيلة فهي ان تخدع الضحية وتخرج بها الى موضع يخفى عليها فتقتلها •

واورد اللسان ، من معاني الفتك ، اشتقاقا ، هو المفاتكة ، وعرفه بأنه مواقعة الشيء بشدة ، كالاكل والشرب وغيره • ويؤيد ما ذهب اليه صاحب اللسان ، الحادثة التي وقعت بين خالد بن جعفر وبين الحارث بن ظالم ، في دعوة طعام جمعهما فيها الملك النعمان ، وقد جعل الحارث يأكل طعامه بشدة ، لدرجة دعت خالد بن جعفر ان يلفت نظر الملك اليه •

---

(٨) انظر الاغاني ١١/ ١٢٠ •
(٩) انظر المقطوعة ٦ من شعر الحارث في آخر المقالة •
(١٠) اللسان (فتك) •
(١١) المصدر نفسه •
(١٢) الفاخر ص٢٥٤ •

ومما تقدم ، تجمعت لنا للقتل ، فى غير الحرب ، ثلاثة انواع : الفتك والغيلة والغدر[١٢] ، والنوعان الاخيران مذمومان عند العرب ، وبالاخص النوع الاخير ، واشرف انواع القتل عندهم الفتك ، لان صاحبه لم يغدر بالضحية ولم يأخذها غيلة ، بل أعطاها العلامة قبل وقوع القتل . ولذلك افتخر العرب بفتاكهم وتناقلوا قصصهم واخبارهم . فاشتهر من الفتاك عمرو بن كلثوم الشاعر ، وخبر فتكه بعمرو بن هند الملك ، فى دار ملكه بين الحيرة والفرات مشهور[١٣] . والبراض بن قيس الكنانى ، وكان خليعاً ، جاور حرب بن أمية بمكة ، ورحل الى العراق فجاور الملك النعمان بن المنذر ، وفتك بعروة الرحال ، الوارد ذكره بعد قليل عند مقتل خالد بن جعفر ، ونهب لطيمة النعمان الى عكاظ ، وبسببه ايضا هاجت حروب الفجار بين حيّي خندق وقيس . وتمثل به أحد شعراء الاسلام فقال[١٤] :

والفتى من تعرّفته الليالي ... والفيافي كالحية النضناض
كل يومٍ له بصرفِ الليالى ... فتكة مثل فتكة البرّاض

ومن فتاك العرب ، فى الاسلام الجحّاف بن حكيم السلمى ، أهدر دمه الخليفة عبدالملك فهرب الى الروم ، وبقى سبع سنين ، ومات عبدالملك وقام الوليد ابنه فاستؤمن للجحّاف فأمنه ، فرجع . قال الاخطل يصف احدى وقعاته وفتكه[١٥] .

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة ... الى اللهمنها المشتكىوالمعوّل[١٦]

---

(١٣) مجمع الامثال للميدانى ٢/ ٣٤٠ والمستقصى من امثال العرب للزمخشرى ١/ ١٥٤ .
(١٤) مجمع الامثال ٢/ ٣٥ .
(١٥) المصدر السابق وانظر ديوان مالك بن الريب ص٥٤ حيث اورد المحقق بأنه كان فاتكا .
(١٦) البشر موضع .

هذا مع ان الاسلام قيد الفتك فى حديث ، ان رجلا أتى الزبير فقال : هل اقتل لك عليا ؟ قال فكيف تقتله ؟ فقال افتك به • فقال الزبير : سمعت رسول الله (ص) يقول : « قيد الايمان الفتك • لا يفتك مؤمن »[١٧] •

وانما عدّ القدماء الحارث بن ظالم فاتكا ، لفتكه بخالد بن جعفر العامرى ، وبأمن الملك الاسود بن المنذر ، وبابن السموأل عندما اتاه الحارث الى حصنه ، وطلب منه ادراع امرىء القيس ، وأبى السموأل تسليمها ، فأمسك الحارث بغلام للسموأل كان خارج الحصن ، في الصيد ، وضربه بالسيف فقطعه نصفين • فقال السموأل[١٨] :

وفيت بأدرع الكندى انى اذا ما خان اقوام وفيتُ

وفى هذه الضربة قال جرير للفرزدق[١٩] :

بسيف ابى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ولعل اكثر ما يميز هذا المحارب العنيد ، والشاعر الفاتك ، هو تصدّيه لاشد ملوك الجزيرة ضراوة وعنفا ، وتريد بهم النعمان بن المنذر وأخاه الاسود وكلاهما معروفان بولائهما للفرس ، وخضوعهما المباشر الى كسرى ، وغيره من ملوك ساسان ، وكذلك تصديه للغساسنة عند مجاورتهم ، وهم ملوك فى حماية دولة الروم الشرقية ، كذلك هم حماتها •

وقد كانت الاطماع الفارسية والرومانية ، اسفرت عن وجههما فى الجزيرة العربية ، وانطلقت لتلعب اخطر الادوار الدموية بين رجالات القبائل وملوك الجزيرة • فتؤلب بعضهم على البعض الاخر • وهذا هو

---

(١٧) الحديث فى مادة (فتك) من كتاب النهاية فى غريب الحديث •
(١٨) الاغاني ٦/٣٣٢ ، ٩ / ١٢٠ •
(١٩) النقائض لابي عبيدة ١/٣٨٥ ، ٤١٣ •

السبب الحقيقى الذى يختفى وراء الحروب والايام المستمرة بين القبائل[٢٠] • بل سبب اتجاه العرب نحو كعبتهم ونحو مكة ، وتشدد البدوى والحضرى فى وثنيته ، وابتعاده عن كل دين غير الوثنية ، ودخولهم فى الاسلام ، بعد أن لقى المسلمون على ايديهم عنتا كبيرا • هذه كلها تفسير لظاهرة الاطماع الاجنبية • وسوف ترى الحارث وغيره يلتجئون الى مكة •

ولذلك نحن نرى الحارث بن ظالم ، فى حربه ضد النعمان ، يلجأ الى الغساسنة فى الشام ، عندما ضاقت عليه الارض العربية فى الجزيرة • وهناك لقى مصرعه كما صرحت بعض الروايات[٢١] • لانه فى قرارة نفسه لم يكن جدا من مجاورتهم ، ولا راضيا عن نفسه فى ولائهم ، فهة يمثل الوجهة العربى الحر فى شبه الجزيرة •

وازاء هذا العالم المضطرب ، هذه الاحداث الملتهبة ، ينشأ شاعرنا ، ملتمسا طريقة الى السيادة والمجد •

فمنذ سنوات طفولته الاولى ، تفتحت عيناه ينظر الى الحياة بمنظار مظلم ، وشب فوجد اليتم فى انتظاره ، فجعل يتجرع انواع المرارات بين اهله وذويه ، الى ان كبر على كره خصومه ، وقاتلى والده ظالم بن غيظ المرى الذبيانى ، سيد قبيلة مرة • وكان انقتله من عامر بن صعصعة ، القبيلة المجاورة ، حيث اغار خالد بن جعفر على رهط الحارث ، وهم فى واد يقال له حراض ، فقتل حتى اسرف[٢٢] ، فهلك ظالم فى تلك الوقعة بسبب جراح اصابته يومئذ • فكانت النسوة فى حى الحارث ، لا يجدن رجلا يشد

---

(٢٠) انظرتاريخ الشعر العربي – البهبيتي ص ٣١ •
(٢١) اغانى ١١٩/١١ العقد الفريد ١٤٧/٥ معجم البلدان لياقوت (مادة خربة) •
(٢٢) اغاني ١٦/١٠ الكامل فى التاريخ ٥٥٩/١ العقد الفريد ٣٠٥/٣ يوم بطن عاقل •

لهن عصاب الناقة ليحلبها ، فيدعون الحارث - وهو صبى لم يدرك - فيشد لهن العصاب ويبكين رجالهن ، ويبكى الحارث معهن ، فنشأ حاقدا موتورا • وكان الحارث كما وصفته المصادر التى اوردت خبر أشعاره وسيرته ، من احسن الناس وجها وحديثا(٢٣) •

وأول شيء تلفته الشاعر ، هو الفتك ، وكيف يصبح فاتكا ، فقد احس من عنف الاحداث التى المت به ، ان الحياة فى الصحراء ليست مضمونة ، لان القاعدة التى تجلس عليها حياة البدوى ، حادة وقلقة ، فاستقر فى اعماقه ان الفتك امضى سلاح يتخذه المرء فى مثل ظروفه ، لبلوغ غايته من اعدائه الكثيرين • ويضاف الى التعليل المتقدم ، سبب آخر ، هو ان اعتماد الحارث على الفتك دون الفروسية والحرب الجماعية ، فى ادراك الثأر ، له ما يبرره فى حياته نفسه • فقد قتل ابوه ولم يدرك ثأره احد ، ولم يقتل قاتله • بل كل ما فعلته غطفان انها بدأت تتجهز لحرب العامريين ، بينما العامريون قتلوا لقيس بن زهير أباه(٢٤) ، بعد ان كانوا قتلوا للحارث أباه من قبل • ولولا قتلهم لزهير بن جذيمة ، لما تجهزوا لحربهم • فعرف الحارث ان الحرب مع غطفان ضد هوازن(٢٥) لاتجدى ، ولن تطفىء غليل النفس ، وان المضى الى القاتل مباشرة اجدى لقبيلته ، واشفى لنفسه •

والفروسية صفة تتجلى قدراتها فى الحروب الجماعية ، والفتك صفة فردية • والحارث نشأ يتيما منعزلا ، منطويا على نفسه ، بسبب مقتل ابيه ، وعدم ادراك ثأره • فكانت هذه الحالة الخاصة ، من مبررات اتجاهه الى الفتك ، مع انه كان فارسا معلوما ، ومحاربا شهدت له المواقع العديدة ، وان

---

(٢٣) المصادر السابقة والفاخر ص ١٦٥ ومجموع الامثال ٢/٢٦٣ •
(٢٤) يوم النفرادات الاغاني ١٠/١٠ والعقد الفريد ١/٥٥٨ •
(٢٥) هوزان هو الجد الاعلى وعامر من قبائل هوازن •

كان ابو عبيدة قد أورد فى النقائض انه اشترك فى معركة رحران[٢٦] ، ولكن لم يؤثر عنه بلاء يذكر • وهذا الخبر الذى أورده ابو عبيدة ، يقوى من حكمنا المتقدم عليه فى سبب اتجاهه الى الفتك ، ويضيف الى الاسباب المذكورة سببا آخر •

وكان أول درس فى الفتك تعلمه على يد ابى الخريف « ويقال الغريف » وهو عبيد بن نشبه بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان ، عندما قدم عليه فقال له : علمنى الفتك • فقال له : اذا هممت فافعل • فأعادها عليه الحارث ، فقال له : كذاك • ثم قال له الثالثة ، فشد عليه بالسيف • فقال له الحارث : ما تصنع ؟ قال : هذا الفتك ، هممت ان اضربك • وتعلل هذه الرواية ظاهرة أخرى من ظواهر تعلق الحارث بالفتك • اذ يبدو لى ان قبيلته معروفة به ، وان ابا الخريف أو الغريف هذا من بنى مرّة ، وكان يعلم الفتك فيها[٢٧] • ثم اصبح الحارث بعده من مدربى شباب بنى مرة على الفتك ، بعد ابى الخريف[٢٨] •

وكان الحارث من وجوه الجزيرة العربية المرموقين • بل هو أحد عشرة من وجهاء العرب ، استدعاهم النعمان بن المنذر بعد رجوعه من فارس ، وفى نفسه ما فيها ، مما سمعه من كسرى ، فألبسهم حلل الملوك وعممهم بعمائمها وارسلهم ليمثلوا بين يدى كسرى فى المدائن • ومثلوا • وتكلم الجميع فكان الملك بين راض عن بعضهم ، ومنكر لآخرين ، الى ان صار الكلام الى الحارث فقام ثم قال[٢٩] : ان آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم

---

(٢٦) النقائض ١/٢٢٦ •

(٢٧) أمالي اليزيدي ص ٧٧ •

(٢٨) شروح سقط الزند ص ١٦٨٦ (حيث اورد الشارع خبرا عن الحادث يعلم ابن اخيه الفتك ويدر به عليه) •

(٢٩) العقد الفريد ٢/١٢ ونحن اذ نستشهد بالنصوص النثرية الجاهلية ، لا نقطع بكونها مروية حقا بنصها ، لكن النص المروى ، على علاته ، يخدمنا فى ايضاح الفكرة أو استخلاص التاريخ الموجود فيه •

الاخلاق ، ومن خطل الرأى خفة الملك المسلّط ، فان اعلمنا ان مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما أنت لقبوله ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، واحكام ولث العقود ، والامر بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل • قال كسرى: من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم • قال : ان فى اسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وان تكون أولى بالغدر ، أو اقرب من الوزر ، قال الحارث : ان فى مغضبة والسرو والتفاضل[٣٠] ، ولن يستوجب احد الحلم الا فى القدرة ، فلتشبه افعالك مجلسك • قال كسرى : هذا فتى القوم •

وكانت له عند الحصين بن الحمام الشاعر المرى مكانة • وجرت له مرة معه مشادة حادة ، فقد قتل المثلم بن رياح رجلا فى جوار الحارث يقال لـه حباشة فلحق المثلم بالحصين بن رياح ، فبلغ ذلك الحارث ، فأتـى الحصين ، وطلب منه دم حباشه ، فسأل الحصين قومه ، وسأل بنى حميس جيرانه ، فامتنعوا جميعا ، وقالوا نحن لا نعقل بالابل ، ولـكن اذا شئت اعطيناك الغنم ، فتألم الحصين من مقالتهم ، ومن كفرهم بنعمته ، لان بنى حميس كانوا فى ارض الحصين وهو متفضل عليهم ، وحارب قومه مـن اجلهم ، فقال فى ذلك شعرا أوله :

خليلى لا تستعجلا أن تزودا وان تجمعا شملى وتنتظرا غدا

والابيات والخبر فى الاغانى[٣١] •

وهو أحد وجوه بنى مرة ، استغاث بهم اخو الجذامى ، ليشفعوا لـه عند قيس بن عاصم المنقرى ، ليفك أسر اخيه ، وكان استغاث بسنان بن ابى حارثة والحارث بن عوف (ممـد وحى زهير بن ابى سلمى) وهاشم بن

---

(٣٠) السرو ، المروءة والشرف •
(٣١) الاغاني ٩/١٤ ـ ١٠ •

حرملة (قاتل معاوية بن عمرو أخي الخنساء الشاعرة ، ومراثيها فيه مشتهرة) وبالحارث بن ظالم .

وعندما اسرته عنزة ، وهم حي من ربيعة ينتمي الى نزار بن معد بن عدنان مرت به امرأة منهم فقالت(٣٢) : احتفظوا بأسيركم فانه ملك وخدن ملك ، وقدمت الدليل على ذلك من علامات ظاهرة عليه ، كانوا يعرفونها ، فصدقوا كلامها . وان تضاعيف قصة حياته ، تكثر فيها الاشارات الى شرف محتده ونبل اصله . ويكفي ان نشير الى قول ابن ميادة الشاعر ، وكان ابوه من أولاد ظالم المرى ابن الحارث ، حيث يقول :

سقتني سقاة المجد من آل ظالم بأرشية اطرافها في الكواكب(٣٣)

وبعد ان اشتد عوده واكتمل ، شاءت ظروف غطفان ، ان تمهد للحارث سبل السيادة والملك . وذلك عندما احتدم الصراع بين العامريين وبين الغطفانيين وبلغ الذروة ، فقتل خالد بن جعفر العامري زهير بن جذيمة ، كبير غطفان وسيد معد كلها ، قتله لينقذ هوازن من ظلمه ، فقد كانت هوازن تدفع أتاوة سنوية لزهير ، وعامر قبيلة من هوازن ، وكان زهير أكثر من اذلالهم واهانتهم(٣٤) .

فلما قتل خالد زهيرا ، آلت الرئاسة الى الحارث بن ظالم ، وهو فتى في حداثة سنه ، فنشط لحرب العامريين ليدرك ثأرين : ثأر والده المقتول منذ اعوام ، وثأر زهير العبسي المقتول حديثا ، لان مرة وعبسا حيان في غطفان .

---

(٣٢) عيون الاخبار ٤/٩٦ .

(٣٣) الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ٦٥٥ وانظر قوله في بيتين آخرين من طبقات ابن المعتز ص ١٠٧ .

انا ابن ابي سلمى وجدي ظالم وامي حصان اخلصنها الاعاجم
اليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمائم

(٣٤) انظر المصادر الواردة في الهامش رقم ١ ص ٥ .

واتصل الحارث بأكبر ولد زهير ، وهو قيس بن زهير ، فوجده غير جاد فى حربه واعتذر بأنه يتأهب لهذه الحرب ، ويتجهز لها بشراء السلاح من مكة[٣٥] .

وهجم الشتاء[٣٦] ، ولم يصبر الحارث ، فترك قومه قائلا لهم : أنتم ادرى بحربكم مع العامريين ، أما انا فذاهب لاقتل خالد بن جعفر . فقيل له : لن تصل يدك اليه ، فهو فى حماية الملك النعمان . فقال : أقتله ولو كان فى حجر الملك .

وكان خالد بن جعفر ، بعد ان قتل زهيرا ، ضاقت به الارض ، فأشارت عليه قبيلته ان يفارقها ويلحق بالنعمان ، ويطلب حمايته ، فهو اسلم له من بطش الغطفانيين[٣٧] .

وهنا تبرز لى مسألة غاية فى الغموض ، نحاول اجلاءها وهى التجاء خالد الى النعمان من يد الغطفانيين . الامر الذى ينتهى بنا الى وقوع احتمالين قويين ، لعل تعليلهما يفسر سبب هذا الالتجاء ، الاول ، اما ان يكون الغطفانيون ضعيفى الولاء للنعمان ، وبالتالى للفرس ، أو انهم كانوا فى هذه الاثناء حلفاء للغساسنة . والثانى ، انهم كانوا غير متفقين ، والوحدة بين احيائهم وبطونهم مفقودة . وأنا الى الافتراض الثانى أميل . لان احداث التاريخ ترد الافتراض الاول وتحدثنا عن علاقة حسنة بين العبسيين والنعمان سوف تثمر نتائجها فى قادم الايام ، عندما عزم النعمان على حرب كسرى والخروج من طاعته[٣٨] ، وهى مقدمات حرب ذى قار الكبرى . هذا

---

(٣٥) .لكامل فى التاريخ لابن الاثير ١/ ٣٤٠ .
(٣٦) انظر الفاخر ص ١٦٥ .
(٣٧) اغاني ١١/ ٩٥ والعقد الفريد ١/ ٥٥٩ وابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ١/ ٥٦٠ .
(٣٨) انظر ايام العرب لجاد المولى وجماعته ١/ ٢٨١ و ٢٩٤ وانظر ابيات زهير بن ابي سلمى فى مدح عبس ديوانه/ ٢٩٠ .

من جهة عبس ، وأما بالنسبة لذبيان ، فأنها غالبا ما كانت تتعرض لغارات الغساسنة فتمتلىء يد الملك الغسانى بأسرى ذبيان وغنائمها[٩٣] .

وسبب آخر قوى ترجيحنا للافتراض الثانى فى انعدام الشعور بوحدة القبائل الغطفانية ، هى هذه الفرقة بين الرؤساء انفسهم ، فالحرب سجالا بين المريين والذبيانين[٤٠] ، وبين العبسيين والفزاريين ، وبين العبسيين انفسهم ، بين بنى جذيمة وبين بنى زياد[٤١] . ولولا هذه التمزقات الداخلية فى جسم القبيلة ، لحكمت غطفان الجزيرة كلها ، بما تملكه من امكانية بشرية وطبيعية[٤٢] .

وازاء هذا التمزق ، نشط الحارث بن ظالم للثأر وحده ، فتوجه الى الحيرة ، فوجد خالد بن جعفر لدى الملك ، فرحب به الملك . وكان خالد قد اهدى النعمان فرسا من خيل بنى عامر بعد ان امتدحها ، فأهداه الحارث فرسا من خيل بنى مرة ، وقال للملك ، انى كنت ارتبطتها لغزو بنى عامر ، لكننى وجدتهم عزيزين لديك فصفحت عن ذلك وهو بهذا يعرض بخالد ويلمح له بقتله[٤٣] .

وفى احدى اجتماعاتهم بالنعمان ، دار بين خالد والحارث حوار عنيف، كان فى خاتمته ان قال خالد للملك : أبيت اللعن ، لى عند هذا يد عظيمة ، قتلت زهير اسيد غطفان ، وصار بعد قتله سيدها . فغضب الحارث وقال :

---

(٣٩) انظر تاريخ الادب فى العصر الجاهلى لشوقى ضيف ص ٢٦١ وانظر ديوان النابغة ص ١٧٨ يتشفع لبني ذبيان لدى الغساسنة وانظر ايضا كتاب الحيوان للجاحظ ٤/٤٧٠ حيث أورد قصيدة الحصين بن الحمام فى وصف هذه الحروب .

(٤٠) المفضليات ص ١٠٠-١٢١ .

(٤١) الكامل فى التاريخ ١/٣٤٤ .

(٤٢) انظر حياة الشماخ بن ضرار الذبياني لصلاح الدين الهادي ص ٥٤ وما بعدها وانظر حديثه عن طبيعة غطفان .

(٤٣) الاغاني ١١/٩٥ وفى الخبر اضطراب يحتاج الى تحقيق علمي جيد .

أنت قتلته ؟ قال نعم • قال الحارث : سأجزيك على يدك عندى •

وخرج الحارث مغضبا ، فلما امسوا اجتمعوا عند قينة من اهل الحيرة يقال لها بنت عفرز ، يشربون ، فقال خالد تغنى •

دار لهند والربـاب وفرتنـــا ولميس قبـل حـوادث الايـام

وهند والرباب وفرتنا وليس نسوة من عبس ، وقيل هـن خـالات الحارث بن ظالم ، ونحن نرجح القول الاول ، لان البيت وارد فى شـعر امرىء القيس(٤٤) ، وهو موجود فى ديوانه ، فلا يعقل ان تكون خالات الحارث ادركن امرأ القيس ، والحارث متأخر عنه • هذا الى جانب ان هذه القصة وردت فى النقائض بين قيس بن زهير وبين حذيفة بن بدر(٤٥) • ولما سمع الحارث الغناء حنق على خالد وامتلأ غيظا فقال له : ما تزال تتبـع أولى بأخـــرة •

وكان مع خالد ابن اخيه عروة الرحـال ، وابن اختـه عبدالله بـن جعدة ، فحذراه من فتك الحارث ، وحذره الملك ايضا فلم يحفل بكلامه ، مع ان عبدالله بن جعدة كان رجل قيس رأيا(٤٦) •

ولما اظلم الليل ، اقبل الحارث حتى انتهى الى ابن جعـدة وعروة ، فتعداهما ثم توجه الى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ومضى الى الحارس ، وكان خالد قد وضع رجلا ليحرسه فعجنه الحارث بكلكله حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خلى عنه لما عرف انه ليس بخالد • فلما وصل الى خالد ايقظه • فلما استيقظ قال له : أتعرفنى ؟ قال : أنت الحارث • قال خـــذ جزاء يدك عندى ، وضربه بسيفه المعلوب ، ويدعى ذو الحيات ايضا ، فقتله•

---

(٤٤) ديوانه ١٤٠ •
(٤٥) النقائض لابي عبيدة ١/ ٨٥ • وانظر كتابنا الشعر فى حرب داحس والغبراء ص ٩٥ •
(٤٦) الاغاني ١١/ ٩٧ •

ثم خرج من القبة ، وركب راحلته وسار • وانتبه عروة وهو يصيح : واجوار الملك ، فبث الملك الجند فى طلب الحارث • ومن طريف ما يروى فـــى هذه المناسبة ، ان الحارث خاف ان يكون لم يقتله ، رجع الى الحارث متنكرا، واختلط بالناس ، فدخل عليه ونخسه بالسيف حتى تيقن انه مقتول ، فعاد ولحق بقومه(٤٧) •

ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية من حياة الحارث ، وتبدأ رحلاته واسفاره فى اطراف الجزيرة ووسطها ، الى ان يستقر فى مثواه الاخير •

★ ★ ★

وبعد ان قتل الحارث خالد بن جعفر ، عاد الى قومه ، فلم يلمس فيهم ما يحمسه على المكوث بين ظهرانيهم ، فلم يكونوا ليطيقوا قتال الملك النعمان، فعزم على مغادرتهم الى بنى دارم ، فلجأ الى بنى ضمرة منهم(٤٨) • فسمع بتحوله عن قومه قيس بن زهير العبسى ، فأسف لذلك اشد الاسف ، لانـه كان يتأهب لحرب عامر ، وهجم الشتاء فأرجأ حربه الى ما بعد انقضائـه كما تقدم قبل قليل •

قال قيس بن زهير فى خروج الحارث من غطفان(٤٩) :

جـزاك الله خـيرا من خليـل شـفى من ذى تبولتـه الخليلا

---

(٤٧) المصدر السابق •

(٤٨) الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١٦٦ والكامـــل لابن الاثير ١/٣٣٨ طبعة بولاق • وفى ذلك يقول ضمرة بن ضمرة :

سنمنع جاراً عـــائذاً فى بيوتكم بأسيافنـا حتـى يؤوب مُسلّما
ولن أذكر النعمـان الا بصـــالحٍ فان لـه فضلاً علينـا وأنعمـــا

والبيت الاخير نسبه محقق ديوان عدي بن زيد الاستاذ محمد جبـار المعيبد ص ١٦٦ الى عدي استناداً الى تفسير الطبرسي مع اختلاف فى رواية عجز البيت « فان له عندي يدّيا وانعما » ولم ينظـر المحقق الفاضل هذه الابيات فى الاغاني ١١/١١٣ ـ ١١٤ •

(٤٩) الاغاني ١١/٩٨ •

أزحت بها جوى ودخيل نفس تمخخ أعظمى زمنا طويلا
كسوت الجعفرى أبا جزيء ولم تحفل به سيفا صقيلا
أبأت به زهير بنى بغيض وكنت لمثلها ولها حمولا
كشفت له القناع وكنت ممن يجلى العار والامر الجليلا

فلما بلغت الابيات الحارث اجابه بأبيات يفضح بها خذلانهم له(٥٠) .

وغزا الاحوص أخو خالد دارما لما علم بوجود الحارث بين ظهرانيهم، فاضطر الحارث على الخروج ، وتوجه الى تميم فلما وقعت عامر على خبر وفوده على حاجب بن زراره التميمى ، والتجائه اليه ، سارت اليه بعليا هوازن ، فنشبت حرب « النسار » وأسر معبد أخو حاجب ، وارسله العامريون الى رجل بالطائف ، كان يعذب الاسرى فقطعه اربا اربا حتى قتله(٥١) . فقال حاجب للحارث : تنح عنا غير ملوم . فتنحى عنهم ولحق بعروض اليمامة .

خرج الحارث من التميميين ، وجعل يطوف فى البلاد ، حتى سقط فى ناحية من بلاد ربيعة . ومرة ، وبينما هو فى طوافه ، وضع سلاحه ، وكان فى فلاة ليس فيها أثر ، ونام ، فمر به نفر من بنى قيس بن ثعلبة وقوم من بنى هزان من عنزة وهو نائم . فاخذوا سلاحه وفرسه ، ثم أوثقوه ، فانتبه وقد شدوه ، فلا يملك من نفسه شيئا . فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم ، وطوى عنهم خبره . فضربوه ليقتلوه أو ليخبرهم من هو ، فلم يفعل . فاشتراه القيسيون من الهزانيين بزق خمر وشاة . وانطلقوا به الى بلادهم ، وهناك عاودوا الضرب معه ، وكاد يدركه الموت ، فلم ينطق بحرف ، فلما أملوه تركوه فى وثاقه ، فانفلت ليلا فتوجه نحو اليمامة . وكان قريبا

---

(٥٠) انظر القطعة ٩ من شعر الحارث فى آخر هذا المبحث .
(٥١) الاغاني ١١/٩٠ وانظر يوم رحرحان فى النقائض ١/٢٢٦ ومعجم البلدان (رحرحان) والعقد الفريد والكامل فى التاريخ .

منها ، فلقى غلمة يلعبون ، وبينهم غلام تلوح عليه علامات الخير والرفاه ، فلما عرف الحارث انه ابن بجير العجلى اتاه ولاذ بحقويه[٥٢] ، والتزمه وقال له : أنا لك جار . فأتى الغلام أباه واخبره ، فأجاره ، وقال لابنه : ائت عمك قتادة[٥٣] واخبره ، فأتى قتادة فأخبره ، فأجاره ، وكانوا قوما ذوى عز وحصون .

وظل القيسيون يطلبونه ، وهو فى الحصن ، فأبى قتاده ان يسلمه ، وخيرهم بين أمرين ، ان شاءوا دفع اليهم ثمنه الذى اشتروه به ، أو ان يعطيه سلاحا كاملا ويحمله على فرس ويدعه يقطع الوادى حتى يبتعد . ومن ثم شأنه وشأنهم . فوافقوا . ويبدو انه اتفق مع الحارث على تدبير هذه المسألة ، بعد ان بالغ القيسيون فى المطالبة به . فألبسه عدة وسلاحا وحمله على فرس ، وقال له : ان افلتهم فرد الى الفرس ، وخذ السلاح . وجاز الوادى ، فلم يزل يقاتلهم ، ويطاردهم ، حتى ورد بلاد قشير .

وعرفه القشيريون ، فانطووا عليه واكرموه . ورد الى قتادة فرسه ، ومعها مائة من الابل ، قال ابو عبيدة : لا ادرى هل وفرها من ماله أم اعطاه اياه القشيريون[٥٤] . وكان كلما نزل فى قبيلة مدحها ، وشكر لها اكرامها ، وواضح ذلك فى شعره .

وسار الساعون بين الحارث وبين الملك النعمان فصالحه وأمنه . وعاد الى حياته الاولى بين قومه الى ان وقعت حادثة المرأة ديهث[٥٥] ، وهى من مرة قبيلة الحارث ، أخذ مصدق الملك أبلها ، فاستجارت بالحارث قائلة

---

(٥٢) اغاني ١١/١١٥ .
(٥٣) اغاني ١١/١١٥ .
(٥٤) اغاني ١١/١١٦ .
(٥٥) اغاني ١١/١٠٥ والمحبر ص ١٦٨ وبلوغ الارب للنويري ١/١٣٣ .

« يا أبا ليلى ، اتيتك مضافة »[٥٦] فوفد على النعمان فى أمرها ، وجعل ينتزع ابلها من يد رعاته واحدا واحدا ، والملك فى اشد حالات الغضب . وفى ذلك قال الفرزق[٥٧] :

كما كان اوفى اذ ينادى ابن ديهث وصرمته كالمغنم المتنهب
فقام ابو ليلى اليه ابن ظالم وكان متى ما يسلل السيف يضرب

وتوارى الحارث مرة اخرى من انظار النعمان . وخرج هاربا الى صديق له من كنده ، فألحّ الاسود بن المنذر اخو النعمان فى طلبه ، وبعث فى اثره كتيبته « الملحاء »[٥٨] تطلبه فى ارجاء الجزيرة ، فقال له الكندى: ما ارى لك نجاة الا ان ألحقك بحضرموت فى بلاد اليمن ، فلا يوصل اليك.

وانقطع ببلاد اليمن واغترب بها زمانا ، فأضمرته البلاد[٥٩] .

وتعود الينا اخبار الحارث مرة اخرى فاذا هو فى ارض بكر بن وائل، لاجئا الى بنى عجل بن لجيم فنزل على زبان ، فأجاره ، وضرب عليه قبة ، فقال العجلى فى ذلك[٦٠] :

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم فظل يغنى آمنا فى خبائنا

وظل عندهم ، الى ان جاءت بنو ذهل بن ثعلبة ، وبنو عمر بن شيبان، وطلبوا من عجل ان يخرجوا الحارث من بين اظهرهم، لانهم لاطاقة لهم بالملحاء فأبت عجل ، وقاتلت دونه . وقال الحارث : لقد اشتهر امرى فيكم ، وانا

---

(٥٦) أى لاجئة . وانظر الخبر فى امثال العرب للمفضل الضبي ص ٤٦ حيث نسب الحادثة لابن المرأة المذكورة ، وهو عياض بن ديهث ، وقد جاءت ابيات الفرزدق مصداقا له .
(٥٧) اغاني ١٠٥/١١ والدرر الفاخرة لحمزة الاصفهاني ورقة ١٢٥ (مخطوطة) .
(٥٨) اغاني ١٠٦/١١ .
(٥٩) العقد الفريد ١٤٧/٥ .
(٦٠) اغاني ١١٦/١١ .

راحل عنكم • وكان الاسود قد اكثر من غزو العجليين بسببه • فلحق بقبيلة طى الساكنة بين جبلى أجا وسلمى •

ومكث فى طى زمانا الى ان اهتدى الاسود الى وسيلة يغيظ بها الحارث، فقد قيل له : انك لن تنال منه أغيظ من اخذك جارات له من بلى بن عمرو ، يجيرهن ويحميهن • فبعث الاسود ، فأخذهن واستاق اموالهن وقتل صبيتهن ، فلما سمع الحارث خرج من بين الجبلين ، وانساب فى غمار الناس ، حتى عرف موضع جاراته ومرعى ابلهن • فاستاق الابل وسار مع جاراته حتى انقذهن • ثم اندس مرة اخرى حتى اتى سنان بن ابى حارثة المرى ، فاستعار منه سرج فرسه ، وكان سنان متزوجا من سلمى بنت ظالم أخت الحارث ، وكانت تربى ابن الملك النعمان[٦١] ، فعرض عليها سرج سنان ، وقال لها : يقول بعلك ابعثى ابن الملك حتى استأمل به للحارث عند ابيه ، وهذا السرج آية ذلك • فزينته ودفعته اليه ، فنتحى به ناحية الشربة وقتله ، ليفجع به اباه ويغيظه ، كما فعل هو بجاراته وبالصبية[٦٢] •

فلما قتل الحارث ابن الملك ، وكان يدعى شرحبيل ، طالب الملك عمه[٦٣] وسنانا وآخرين به ، فاعتذروا بأنهم كانوا اخرجوا الحارث من غطفان ولم ينصروه • فغزا الاسود بنى ذبيان واسد ، وقتل فيهم قتلا ذريعا، واستاق اموالهم ، وسبى نساءهم ، واشهر وقعة أوقعها بهم هى المعروفة ، بشطى أريك • قال اعشى ميمون[٦٤] :

وشيوخ صرعى بشطى «أريك» ونساء كأنهن السعالى

---

(٦١) اغاني ١٠٨/١١ ونهاية الارب للنويري ص ٣٥٤

(٦٢) المصدر السابق • والشربة موضع • وفى ذلك يقول الحارث :

فان تك أذ واد أصبن وصبية فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

انظر الابيات فى القطعة رقم ٢ من شعره •

(٦٣) انظر الاغاني ١٠٢/١١ وقصيدة عم الحارث فى هذه الحادثة •

(٦٤) اغاني ١٠٩/١١ •

وعثر الاسود على نعل ابنه شرحبيل عند بنى محارب ، فأحمى لهم الصفا التى بصحراء أضاخ ، موطنهم ، وقال لهم : انى أحذيكم نعالا ، فأمشاهم على الصفا المحمى ، فتساقط لحم اقدامهم • ففى ذلك يقول جوشن الكندى من الاسلام ، وكان قتل رجلا من بنى محارب فأقيد به فى المدينة :

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفا من اضاخ حاميا يتلهب

وقال آخر ، وقد سرقوا سهاما له :

بنى الثوس ردوا اسهمى ان اسهمى كنعل شرحبيل التى فى محارب

وقال احدهم فى الجاهلية :

ومولاك الذى قتل ابن سلمى علانية ، شرحبيل بن نعل[٦٥]

وقد اوحت هذه هذه الحادثة لعدد من الشعراء ، ووردت فى شعر كثير •

وأخذ الاسود جماعة من اسد ، لما علم انهم عاونوه على الهرب ، الا انه عاد فاطلقهم لما علم ان الحارث يهجوهم • وكان الحارث قد اوهمه بهذا الهجاء ليخلى عنهم •

والحقيقة ان الاسود لم يكف عن الحارث الا بعد ان علم ان الحارث سيفتك به ، وبلغه قوله فيه[٦٦] أو فى اخيه الملك النعمان نفسه :

بدأت بهذى ثم اثنى بهذه وثالثة تبيض منها المقادم

يقول له : بدأت بقتل ابنك ، وسأفتك بك فى المرة الثانية • وأما الثالثة فيبيض لها مقدم الرأس •

ولحق الحارث بمكة[٦٧] ، وانتمى الى قريش ومدحهم • والقريشيون

---

(٦٥) المصدر السابق •

(٦٦) المفضليات ص ٦١٥ وانظر القطعة ، من شعره •

(٦٧) كانت مكة مطمح كل عربي يقاوم التدخل الاجنبى • وقبل الحارث

يحبون المريين ، وكان عمر بن الخطاب (رض) يقول : « لو كنت مدعيا احدا من العرب لادعيت بني مرة » لنسب قديم بين القبيلتين يذكره الرواة والنسابون في كتبهم(٦٨) .

ثم تحول عن جوارهم ، بعد ان بلغه مالا يرضاه منهم . فلم يبق له بعدهم ملاذ يلوذ به غير الشام والغساسنة ، لان قبائل الشمال صارت تتحرج من ضمه اليها ، فلم يعد يطمع الى واحدة منها ، فدخل في حلف الغساسنة حماة الامبراطورية الرومانية الشرقية في الشام ، فأجاره يزيد بن عمرو الغساني(٦٩) .

وكان في أول امره عندهم معززا مكرما الى ان قتل الخمس التغلبي ، فذاق الاذى والسجن ثم القتل ، في خبر طريف نسوقه ، مستخلصين منه التاريخ لا الحادثة ، وملخصه ، ان الملك الغساني تعود ان يترك احدى نوقه على رسلها بين الناس دون ان يحرسها أحد ، وقد علق في عنقها مدية وزنادا وصرة ملح . والملك يقصد من هذا ان يختبر قومه ، ويعرف مدى خضوعهم وطاعتهم لملكه . وصادف ان وحمت احدى امرأتي الحارث في شديدة ، وطلبت الشحم ، والحت في الطلب ، فاضطر محرجا على ان ياخذ ناقة الملك ، ودخل بها واديا بين جبلين ، ونحرها وأخذ الشحم ، وطلبت الناقة فعثر عليها منحورة ، وقد أخذ منها السنام وتركت . فأشار الملك

لجأ اليها سويد ، أحد بني عبدالله بن دارم لدى قتله ابن الملك عمرو ابن المنذر اللخمي . فهم الذين بمكة من بني دارم حلفاء لقريش . « النقائض لابي عبيدة ٢/٦٥١ » .

(٦٨) المفضليات ص ٦١٨ وذكر الشارح خبر النسب بين بني مرة وبين لؤي بن غالب ، وينفي النسابون ان يكون قوم الحارث من بني بغيض ويؤيد ذلك قوله « سفهنا باتباع بني بغيض ... البيت » ويوردون قصة التبني لجد الحارث في قزارة .

(٦٩) اغاني ١١/١١٨ وانظر العقد الفريد ٥/١٤٧ وذكر ان مقتله بالشام في موضع يقال له الخربة ومعجم البلدان ، ياقوت مادة (خربة) .

على كاهن يدعى الخمس التغلبى ان يكتشف له الفاعل ، فـذكر الخمس الحارث بن ظالم • فتذمم الملك وكذب عنه ورد التهمة • وبعد زمن ، دسوا للحارث من يتسقط خبر الناقة ، فقتل الحارث الشخص الذى وقع عـلى الخبر عن طريق امرأة جاسوسة • فأخبر الخمس الملك بمقتل الشخص ، فنهض الحارث الى الخمس التغلبى وقتله •

ومكث الحارث فى سجون الغساسنة زمنا ، لقى فيه العذاب ، حتـى انهم كانوا يحرمون عليه الماء • فمن ذلك قوله لسجين معه كان يقدم لـه الطعام والشراب[٧٠] •

لقـد قال لى عند المجاهد صاحبى وقدحيل دون العيش هل أنت شارب
وددت بأطراف البنـان لو اننـى بذى أرونا ترمى ورائى الثعـالب

ثم اقتيد الى مجلس الملك فقال الملك للحضور : من كان له عند هذا ثأر فليقتله ، فقام اليه ابن الخمس التغلبى ، وكان حاضرا • فقال له الحارث: اتقتلنى يا ابن شر الاظماء • قال ابن الخمس : اقتلك يا ابن شر الاسماء • فقتله وأخذ سيفه المعلوب ، وهو ذو الحيات ، فأتى به سوق عكاظ ، وجعل يعرضه على البيع ويقول : هذا سيف الحارث بن ظالم ، فاشتراه اياه (اى طلب يراه) قيس بن زهير ، فأراه أياه ، فعلاه به حتى قتله بالحارث بـن ظالم فى الحرم ، وقال قيس يرثى الحارث[٧١] :

وما قصرت من حاضن ستر بيتهـا أبر وأوفـى منـك حار بن ظـالم
اعزّ وأحمى عند جـار وذمـة واضرب فى كأب من النقع قاتـم

---

(٧٠) المصدر السابق (اغاني) • وأرونا موضع • والثعالب بنو ثعلبة ، كانوا مشهورين برمي السهام • يقول ليتني عناك ، بدل وجودي هنا ، عند الغساسنة ، تدافع عني بنو ثعلبة ، وتدفع اعدائي •

(٧١) اغاني ١١٩/١١ والعقد الفريد ١٥٠/٥ •

ورثاه ايضا رجل من ضرى ، وهم حى من جرهم ، فقال[٧٢] :

يا حار حنيا حرا قطاميا
ما كنت ترعينا فى البيت ضجعيا
أدعى لباخينا محلاء عيا

هذه رواية ابى عبيدة والبصريين فى مقتله[٧٣] . لكننا وجدنا فى كتاب النقائض[٧٤] ، رواية أخرى منسوبة لابى عبيدة فى مقتل الخمس على يد قيس بن زهير ، حيث يذكر ان العبسيين فى حربهم الطويلة ضد الذبيانيين ، ارادوا ان يدخلوا فى حلف مع التغلبيين ، فأرسلوا وفدا لمفاوضتهم ، فجعلوا ينتسبون ، الى ان وقف أحدهم ، ليعرف بهويته امام العبسيين فقال : أنا ابن الخمس التغلبى ، فقام اليه قيس بن زهير وقال له : ان زمانا تجيرنا أنت فيه لزمان سوء ، والله لانت أحقر من قراد تحت منسم بعيرى . ثم دار نفس الحوار الذى ذكره البصريون بينهما وقتله . ولا اعلم سببا لهذا الاضطراب ، ولعله توهم وقع به صاحب كتاب الاغانى .

وأما الكوفيون ، فهم يعتقدون ان النعمان بن المنذر هو الذى قتله ، ورواية الكوفيين مستقاة من على بن سليمان بن الاخفش ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الاعرابى عن المفضل الضبى[٧٥] . واجمالها ، ان النعمان ، بعد ان هرب الحارث الى مكة ، أسف على ذلك ، فلطف له وراسله ، الامان ، واشهد على نفسه وجوه العرب « ربيعة ومضر واليمن » واسكنه مع

---

(٧٢) اغاني ١١/١١٩ .
(٧٣) اغاني ١١/١١٨ والعقد الفريد ٥/١٤٧ .
(٧٤) ١/١٠٣ .
(٧٥) هذه رواية الاغاني ١١/١٢٠ والذى فى الامثال للضبي ص ٤٧ أن الحارث قدم الحيرة بعد زمن طويل من هذه المسألة ، فالقي القبض عليه ، واقتيد الى عاصمة النعمان ، فأمر به ابن الخمس فضرب عنقه .

جماعة ، وأمرهم ان يتكفلوا له بالوفاء ، ويضمنوا عن النعمان ، ان لا يهم الحارث أحد ولا يزعجه . ففعلوا .

ومرة ، كان النعمان فى قصر بنى مقاتل ، فأتاه الحارث وقال للحارث: استأذن لى عند النعمان . فقال النعمان للحارث : ائذن له وخذ ، فعـــاد الحارس الى الحارث وقال له : ضع سيفك وادخل . قال الحارث : ولم اضعه . قال : ضعه لا بأس عليك . فوضعه ودخل ، فوجد عنده ابن الخمس التغلبى ، فجرى بينهما نفس الحوار ايضا كالذى سبق فى رواية البصريين، بأن قال الملك للحاضرين من كان له عند هذا ثأر فليقتله . فهجم عليه ابن الخمس وقتله ، وكان ذلك فى موضع يقال له الخربة(٧٦) ، ولعل قصر بنى مقاتل كان هناك ايضا .

واذن فالمصادر متفقة على ان قاتله ابن الخمس ، قتله بأبيه ، وان قاتل ابن الخمس هو قيس بن زهير ، قتله بالحارث . والخلاف واقع حول الذى أمر بقتله . أهو الملك الغسانى أم الملك المنذرى . البصريون يسندون القتل الى الغساسنة ، والكوفيون يسندونه الى المناذرة . وليس من السهولة التكهن بما تخفيه اختلافات الروايات والاقوال . لان الاهواء والمشارب متنوعة ، واذا اختلط الحقيقة علينا ، فهى لن تضيع ، لان جزءا منها يبقى طافيا على السطح . ونحن نتلمس طريقة وسط الظلام ، مهتدين ببصيص نور .

ونتهى بذلك من موجز سيرة الحارث بن ظالم ، الذى شغل الجزيرة العربية فترة حياته ، وبعدها . وكان سببا فى حروب عديدة : يوم رحرحان عندما اجارته تميم ، وجر هذا اليوم يوم شعب جبلة . ويوم النسار ، يوم منعت فيه ضبة الحارث(٧٧) من الملك ويوم شطى اريك عندما غزا الاسود بنى اسد بسبب تسترهم عليه ، ومعاونته على الهرب .

---

(٧٦) العقد الفريد ٥/١٤٧ .
(٧٧) النقائض ٢/٧٩٠ .

ونكتفى ايضا بهذا الموجز ولن نطمع الى مزيد ، لكى نوسع للشعر وتحقيقه .

شعره :

ان من دوافع اقدامى على هذا الشاعر ، ورود شعره وخبره فى المفضليات ، والمفضل الضبى لا يحفل بشاعر الا اذا كان من المجيدين ، وان كان مقلا . ولقد رأيت شعره وخبره مفرقا فى الكتب ، ولم تمتد اليه يد ، فرأيت ان افعل صنيعا ، ولو يسيرا ، فأعرف ابناء هذه الامة بأحد شعرائها وفرسانها ، فى صورة متكاملة أو شبه متكاملة ، الى ان يتيسر لنا فى قادم الايام جديد . وفى اعتقادى ، ان لكل شاعر عربى قديم أو متأخر حقا علينا فى ان نعلى ذكره ونظهر اسمه ، ونعرفه على ابناء قومه . وقد آن لكثير من الشعراء والادباء ورجال الفكر ان ينهضوا من رقدتهم الطويلة بين الكتب القديمة ، على يد أرباب البحث والدراسة .

ومع انى ، بعد التقصى والتنقيب ، أصبت بقسط من خيبة الامل ، اذ لم أحصل على بغيتى كما املت ، لكننى لست بآسف على ذلك ولا مبتئس ، وسوف احاول ان اعقد دراسة ولو قصيرة لشعره ، من خلال النصوص التى توفرت لدى .

يمدنا شعر الحارث بن ظالم ، ببعض اضواء انبعثت من ظلمات حياته التى اكتنفت جوانب عصره ، ففيه قصة حب مع فتاة تدعى سلمى ، وهى من بنى عامر ، القبيلة العدوة ، فهى اشبه بقصص المتأخرين من العرب او غيرهم ، عندما يجمع الحب بين قلبين ويتحابان ، وقومهما أو عائلتاهما عدوتان تتقاتلان . ومع ان الرواة لم يوردوا خبر هذا الحب فى سيرة حياته ، الا ان الحارث يتحدث عنه بشكل ظاهر وواضح فى قصيدته(٧٨) :

---

(٧٨) المفضليات ص ٦١٥ .

نأت سلمى وأمست فى عـدو تحث اليهم القلص الصعابا

فحديثه عنها حديث مشوق مشوب بألم ، ويعزو سبب فرقتهما الى سيفه الذى لم يفصل رأس خالد بن جعفر عن جسده فحسب ، بل قطع ايضا وصل سلمى به فلم يعد يراها بعد حادثة الثأر • فانظر الى اى مدى يتغلل الثأر فى دماء العربى ، لقد ضحى بحبه من أجل ثأ قديم لابيه ، وثأر جديد لرجل لا يمت اليه الا عن طريق غطفان ، جدهم الاقـدم ، مـع ان اولاد المقتول يتجهزون لثأر أبيهم •

وفي شعره اشارة الى انه احبها ، عندما كان أهله قريبين من أهله ، تحت تأثير عامل التنقل ، حيث استوطن اهل سلمى موضعا يدعى « روض بيشة » و « الرباب » واستوطن اهل الحارث موضعا يقال له « النعف » •

وحل النعف من قنـوين اهلي وحلـت بيشـــة فالربابـا

وعلى هذا فهو يحث كل يوم قلوصه ، كما ذكر فى مطلع القصيدة، ليلتقى بها هناك • أما الآن ، وقد اصبح فى ارض غريبة عنه ، وعن ديار حبيبته ، فليس بامكانه ان يلتقى بها ، لاسيما وان الاحوص بن جعفر ، اخو خالـد وابنه عمرو بن الاحوص ، هما وليّا أمرها ، وقد غضبا عليه ، بعـد قتـله خالدا :

وان الاحوصـــين يوليـــاها وقد غضبا علي فما اصابـــا

ولسنا نقطع بواقع هذا الحب ، أو نؤكده ، كما اننا لا ننكره مطلقا ، فليس احتمال وقوعه ببعيد • بل نرجح وقوعه بين فتيان وفتيات القبائـل المتجاورة ، وهو بعد ذلك مظهر من مظاهر النشاط الانسانى والادبى عندهم• لان البيئة الصحراوية تساعد على تطور مثل هذه العلاقات الانسانية وتنميها • اما ان يكون الحارث قد قال هذه الابيات ، وضمنّها تعريضا لاحدى نسوة عامر ، لينال أو يثلم من عرضهم ، فهو أمر استبعده منه ، لانه لم يقل فـى

الابيات المذكورة شيئا اكثر من وصف لمشاعر الحب المتشوق الى لقاء حبيب ، لم يعد الى لقائه من سبيل • وان خلق الحارث يمنعه عن ركوب الزلل • اليس هو القائل عن نفسه فى القصيدة نفسها :

فيا لله لم اكسب أثاما ولم اهتك لذى رحم حجابا

وتميز شعر الحارث بصفة غلبت عليه ، وقلما وجدت فى اشعار الجاهليين • الا وهى هذه النفحة من الروح الحنيفية المنبعثة من اعماق التوحيد ، والتى يعزوها الدكتور نجيب البهبيتى الى الشعور القومى لدى العرب ، المتمثل فى اجتماعهم حول كعبتهم(٧٩) ، وهى ملاحظة تصدق على الحارث ، لما رأيناه فيه من حرص على قوميته ، ودفاعه عنها ووقوفه فى وجه كل جور وظلم ، ونفحة التوحيد التى تلامس حسنا ، كلما مررنا باشعاره القليلة • فكأنى امام رجل من الاحناف الموحدين ، لانه يذكر الاله ، او ينطق بلفظ الجلالة منبعثا من اعماق نقية لم يشبها كفر ولا وثنية • مع انه جاهلى ، ولم يدرك الاسلام • وفى ظنى انه لو ادركه لاسلم وحسن اسلامه •

فمن امثلة شعره فى هذا المجال ، قوله يخاطب خالد بن جعفر ، عندما قتل خالد بن جعفر عدد من فرسان بني مرة وعير الحارث بقتلهم(٨٠) :

اعيرتنى ان نلت منا فوارسا غداة حراض مثل جنان عبقر
اصابهم الدهر الختور بخثرة ومن لا يق الله الحوادث يعثر

وقوله : (٨١)

ارانى الله بالنعم المندى ببرقة رحرحان وقد ارانى

---

(٧٩) تاريخ الشعر العربي ص ٣٩ •
(٨٠) انظر شعر الحارث المقطوعة ٦ •
(٨١) انظر المقطوعة ١٥ •

وقوله فى المكيين يمدحهم ويمدح[٨٢] كعبتهم رمز الشعور القومى الموحد فى شبه الجزيرة :

فان يك منهم اصلي فمنهم قرابين الاله بني قصيّ

ويتجلى توحيده فى اوضح صورة ، فى خطابه لعمرو بن الاطنابة الشاعر ، وكان عمرو قد ذكره بسوء تجنيّا ، فظفر به الحارث وعفا عنه[٨٣] :

ما ابالي اراشدا فاصبحاني حسبتني عواذلى أم غويا
بعد الا اصرّ لله اثما فى حياتى ولا اخون صفيّا

وهو الى جانب هذا كله ، يكثر من قسمه بالله • واكتفي بالاشارة الى مواضع هذا القسم فى اشعاره •[٨٤]

ويعطينا شعره صورة لحياته المتنقلة بين قبائل العرب ، وكان كلما لقي عونا من قوم عبر لهم عن شكره ، ولا تكاد قبيلة تفضلت عليه بجوار أو غيره تفلت من مدحه • ومن هذا القبيل مدحه لحاجب بن زراره التميمي[٨٥] •

فان تك فى عليا هوازن شوكة تخاف ففيكم حد ناب ومخلب
وان يمنع الجار الزرارى جاره فأعجب بها من حاجب ثم اعجب

وقال يمدح قتادة بن مسلمة الحنفي ، الذى اجاره فى اليمامة :

قتادة الخير نالتنى حذيته وكان قدما الى الخيرات طلاعا

وقال يمدحهم ايضا ويشرك فى مدحهم يشكرا :

---

(٨٢) انظر المقطوعة ١٣ •
(٨٣) انظر المقطوعة ٣ •
(٨٤) انظر البيت ، مقطوعة ٤ • والبيت ١ من المقطوعة ١٤ والبيت ٨ من المقطوعة ٢٣ •
(٨٥) انظر المقطوعة ٥ •

جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر كلا وجدنا اوفياء ذؤابـــة

ولا اريد ان اطيل بالامثلة وهى بارزة فى شعره ، لأنه مدح اقوامـــا عديدين ، مثل الطائيين والمكيين والعجليين ، ومدائحه فى اهل مكة اكثر من سواهم .

وقصيدته اليائية التى رد بها على عمرو بن الاطنابة ، فيها دليل قوى على وفائه عندما ظفر به وعفا عنه ، وفاءً لحقوق قديمة . وتضاف الى قصص الوفاء التى ترددت فى ثنايا قصة حياته . وهى ايضا تقوي الفكـــرة التى كونتها عن الحارث فى كونه احد الشعراء الجاهليين الذين كانوا يفنـون بشعرهم . يضاف الى ذلك قول العجلى المتقدم فى تضاعيـــف هـــذه الدراسة(٨٦) .

ووفاؤه وارد بشكل واضح فى كثير من اشعاره . قبل وضـوح اى غرض آخر فيه . وكل الابيات التى انتخبناها لدى الكلام عن مدائحه او شعره التوحيدى ، يصلح اتخاذه مثلا لوفائه . وخاصة شعره فى المدح ، فهو يقدمه بين يدى ممدوحه اعترافا منه بالجميل . ومدحه لايتجـــه الى اشخاص بعينهم ، بل الى قبائلهم ، لانه كما رأينا لم يكن شخصا متكسبا فى مدحه ، بل معترفا بجميل .

وضياع شعر الحارث أمر لم يعد سببه خافيـــا عـلى دارسى الادب الجاهلى ، لانه يتعلق بالشعر الجاهلى نفسه وضياعه من جهة ، ويتعلق بحياة الحارث من جهة ثانية فهو متنقل ، كثير الطواف والتخفي ، فلم يذع شعر بين الناس ، فتعذرت روايته .

---

(٨٦) أما مطلع اليائية فهو :

اعز فالي بلـــذةٍ قينتيّـــا قبل أن يبكر المنون عليّـــا

وأما قول العجلي فهو :

ونحن منعنا بالرمـــاح ابن ظالم فضل يغني آمناً فى خبائنـــا

انظر المقطوعة ٣ من شعره والاغاني ١١٦/١١ .

والكتب التى اوردت مقطوعاته الشعرية ، هى الاخرى ليست بذات اختصاص ، اذا استثنينا كتاب المفضليات والاغانى ومنتهى الطلب • فقد وردت اكثر اخباره فى الامثال وكتب الشواهد ، او كتب التاريخ والمعاجم اللغوية والجغرافية •

الشعر والتحقيق

(١)

قال الحارث بن ظالم المرى ، بعد ان قتل خالد بن جعفر العامري وهي مفضلية :

١ نأت سلمى وأمست فى عدو تحث اليهم القلص الصعابا
٢ وحل النعف من قنوين أهلى وحلت روض بيشة فالربابا
٣ وقطع وصلها سيفي واني فجعت بخالد عمدا كلابا
٤ وان الاحوصين تولياها وقد غضبا علي فما اصابا
٥ على عمد كسوتهما قبوحا كما اكسو نساءهما السلابا
٦ واني يوم غمرة غير فخر تركت النهب والاسرى الرغابا
٧ فلست بشاتم ابدا قريشا مصيبا رغم ذلك من اصابا
٨ فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعرى رقابا
٩ وقومي ان سألت بنو لؤى بمكة علموا الناس الضرابا
١٠ سفهنا باتباع بني بغيض وترك الاقربين بنا انتسابا
١١ سفاهة فارط لما تروى هراق الماء واتبع السرابا
١٢ لعمرك انني لأحب كعبا وسامة اخوتي حبي الشرابا
١٣ فما غطفان لي بأب ولكن لؤى والدى قولا صوابا
١٤ فلما ان رأيت بني لؤى عرفت الود والنسب القرابا
١٥ رفعت الرمح اذا قالوا قريش وشبهت الشمائل والقبابا
١٦ صحبت شظية منهم بنجد تكون لمن يحاربهم عذابا

١٧ وحش رواحة القرشي رحلي بناقته ولم ينظر ثوابا

١٨ كأن السيف والانساع منها وميثرتي كسين أقب جابا

١٩ فيا لله لم اكسب اثاما ولم أهتك لذى رحم حجابا

٢٠ اقاموا للكتائب كل يوم سيوف المشرفية والحرابا

٢١ فلو اني اشاء لكنت منهم وما سيرت اتبع السحابا

٢٢ ولا قظت الشربة كل يوم اعدى من مياههم الذبابا

٢٣ مياها ملحة بمبيت سوء لبيت سقابهم صردى سغابا

٢٤ كأن التاج معقود عليهم اذا وردت لقاحهم شزابا

المفضليات ص٦١٨-٦٢١ (عدا البيت ١٨) .

منتهى الطلب مخطوطة رقم ٥٣ش بدار الكتب المصرية الورقة ١٤٤-١٤٥ (عدا البيتين ٧ ، ١٨) (البيت ١٥) الشمايل بدل الشمائل والبيت ٢٣ سقائهم بدل سقابهم .

سيرة ابن هشام ١/١٠٠ الابيات (٨ الشعر الرقابا بدل الشعرى رقابا + ٩) (مضر بدل الناس) + ١٠ + ١١ مخلف بدل فارط ٢١ البيت مروى على الوجه التالى :

فلو طووعت عرك كنت فيهم وما القيت انتجع السحابا

+ ١٧ بناجية بدل بناقته + ١٨ .

الاغاني ١١/١١٧ البيت ١٥ + ٨ + ٩ + ١٠ + ١٧ + ١٨ موافق لابن هشام .

النقائض ١٥ + ٨ موافقة لابن هشام .

المحبر ص١٦٩ ١٥ + ٨ (بينت بدل شبهت) (الشعرى رقابا بدل الشعر الرقابا) .

المعاني الكبير ١/٥٢٢ البيت ٢١ .

شرح المرزوقي على الحماسة ص١٩٨ (ولا بفزارة الشعر الرقابا) .

الحماسة البصرية ١/٧٩ البيت ١٥ .

وانشد سيبويه ايضا ١/١٠٣ البيت ١٥ .

وفي المقتضب منسوبا الى الحارث بن ظالم .

شرح شواهد العيني الخزانة ٣/٦٠٩ (هامش) .

معاني المفردات :

(١) عدو مفرد وجمع . تحث أى أنت تحث .

(٢) نعف جانب من الجبل شاخص يشرف على فجوة . وقنوان جبلان . وروض بيشة والرباب موضعان .

(٣) يقول : لما قتلت خالدا صار أهلي اعداء لي وانقطع ما بيني وبينها من الوصل . وكان سبب ذلك سيفي .

(٤) الاحوصان : الاحوص بن جعفر وابنه عمرو .

(٥) كسوتهما قبوحا اى اوقعت بهما فنث ذلك عنهم ، وهجوتهم فشاع ذلك عليهم . والبست نساءهم ثياب الحزن ، وهي ثياب سود وخضر .

(٨-٩) البيتان يرويان خبر انتفائه من قيس والتحاقه بقريش . وجاء في شرح المفضليات ص٦١٩ ان فزارة بن ذبيان بن بغيض مر بجد الحارث بن ظالم وقد مات ابوه لؤى بن غالب فارتحلت أمه الى بني ثعلبة بن سعد ، فارتحلوا وتركوه في دارهم فقال فزارة : ما خلفك ها هنا . قال : خلفني القوم لاني لست منهم فقال فزارة :

عرج علي ابن لؤى جملك تركك القوم ولا متركك لك

ثم الحقه فزوجه ابنته . لذلك قال الحارث « سفهنا باتباع بني بغيض ... البيت » .

(١١) الفارط ، المتقدم على الماشية لاصلاح الحياض والدلاء والارشيه . يقول: لما روى عن الماء هراق ما كان معه منه ، واتبع السراب من جهله ، وكذلك نحن اذ تبعنا بني بغيض .

(١٥) اي انني كنت فى حالة حرب فلما علمت ان القوم هم قريش رفعت السيف عنهم ، ثم بدأت امتدح شمائلهم وصروحهم وامجادهم .

(١٦) شظية جماعة . (١٧) أي ان رواحة اكرمني وملأ رحلي ولم يطلب جزاء على فعلته الكريمة علي .

(١٨) النسع سير مظفور تشد به الرحال . والميثرة وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والاقب الظامر . والجاب القوى الغليظ .

(٢١) اي اني لو اشاء لكنت من قريش التي ما كانت تنتجع الغيث ، ولا تطلبه بغير أهلها كما تفعل العرب . وقل السحاب وأراد الكلأ لانه يكون به .

(٢٢) الشربة موضع . اعدى أصدف ، والذباب الاذى . ويروى الذئاب اى ذئاب العرب .

(٢٣) الصردى الواجدة من البرد ، والصرد البرد . والسغاب الجياع ، قال تعالى : او اطعام فى يوم ذى مسغبة اى ذى مجاعة .

(٢٤) الشزاب الضامرات . الواحد شازبة .

(٢)

وقال بعد ان قتل شرحبيل (ابن النعمان بن المنـــذر الملك) وهي مفضليـة :

١ قفا فاسمعا اخبركما اذا سألتمـا محـارب مولاه وثكـلان نادم
٢ فاقســم لولا من تعرض دونـه لخالطه صافي الحديدة صـارم
٣ حسبت ابا قابوس انك ســالم ولما تصب ذلا وانفك راغـم
٤ فان تك اذواد اصبـن وصبيـة فهذا ابن سلمى رأسه متفاقـم
٥ علوت بذى الحيات مفرق رأسـه وهل يركب المكروه الا الاكارم
٦ فتكت به كما فتكت بخالـد وكان سلاحي تجتويه الجماجم
٧ اخصيي حمار بات يكدم نجمـة أتا كل جاراتي وجارك ســالم
٨ تمنيته جهرا عـلى غـير ريبـة احاديث طسم انما انت حالـم

٩ بدأت بهذى ثم اثني بهذه وثالثة تبيض منها المقادم

١٠ شفيت غليل الصدر منه بضربة كذلك يأبى المغضبون القماقم

المفضليات ص٦١٦ (عدا البيتين ٨ ، ١٠) وامثال العرب للمفضل الضبي ص٤٦ الابيات كلها عدا (٨-١٠) والثالث فائز بدل سالم ، وتذق بدل تصب • والرابع لولا بدل الا • والسابع أيؤكل بدل أتأكل • والتاسع (بدأت بيتك واثنيت بهذه) •

الاغاني ١١/١٠٣-١٠٤ الابيات (١ + ٣) (سابقي بدل سالم ولما تذق فتكي بدل ولما تصب ذلا +) (فان تك اذوا « اصبت ونسوة » + ٥ + ٦) (فتكت به فتكا كفتكي بخالد) فى هذا البيت والبيت الذى قبله جعل صدر البيت الاول مع عجز الثاني وبالعكس (وامره بدل رأسه) + ٧ (اتؤكل بدل اتأكل) + ٨ + ٩ (بمثلها بدل بهذه) + ٩ •

الكامل فى التاريخ ١/٥٦٣ البيت ٧ + ٥ + ٦ (كما فى الاغاني) + ٨ (موافقة للاغاني) •

العقد الفريد موافقة لما فى الكامل لأبن الاثير • والبيت ٣ (محفزي بدل سالم) •

شروح سقط الزند ص١٨٨٨ ضربت بذى الحيات مفرق رأسه •

حماسة البحترى ص٣٢ البيت ٦ مع عجز البيت ٧ وبالعكس •

معاني المفردات :

(١) يقول : اسمعا اخبركما الخبر : أنا محارب مولاه « يريد ابن عمه » قتلت ابن الملك الذى كان فى حجر سنان بن ابي حارثة ، فحاربني ونفاني • وثكلان نادم ، اي الملك ، قتلت ابنه فهو ثكلان نادم •

(٢) يقول : لولا من دون الملك من حرسه واحبائه لطلبته حتى اقتله •

(٤) ابن سلمى يعنى ابن الملك الذى ربته سلمى بنت ظالم أخت الحارث

« وفي رواية سلمى من بني أسد » وأخذه الحارث وقتله • ورأسه متفاقم أي ليس بملتئم •

(٥) ذو الحيات سيفه عليه تمثال حية • قلما ثلمته التروس سماه المعلوب ، لانه كان يشد قبضته بالعلباء وهي قطعة من قماش •

(٦) تجتويه الجماجم ، أي لا يوافقها • تقول اجتويت بلدة كذا اذا لم توافقك •

(٧) يشبهه بخصيي حمار يعض نباتا أو يكدمه ، أي يعبثه ، وهذا النبات يدعى نجمة وهو من غير ساق •

(٩) أي بدأت بقتل ابن الملك ثم اقتل الملك •

(٣)

وقال الحارث بن ظالم يجيب عمرو بن الاطنابة الشاعر :

١ اعزفا لي بلذة قينتيا قبل ان يبكر المنون عليا
٢ قبل ان تبكر العواذل اني كنت قدما لأمرهن عصيا
٣ ما أبالي أراشدا فاصبحاني حسبتني عواذلي أم غويا
٤ بعد ألا اصر لله اثما في حياتي ولا أخون صفيا
٥ من سلاف كأنها دم ظبي في زجاج تخاله رازقيا
٦ بلغتنا مقالة المرء عمرو فأنفنا وكان ذلك بديا
٧ قد هممنا بقتله وبرزنا فلقيناه ذا سلاح كميا
٨ غير ما نئم تعلل بالحـ ـلم معدا بكفه مشرفيا
٩ فمننا عليه بعد علو بوفاء وكنت قدما وفيا
١٠ ورجعنا بالصفح عنه وكان المن منا عليه بعد تليا

اغاني ١١/١٢٣-١٢٤ وروى البيت الثالث على الوجه الآتي ايضا :

ما أبالي اذا اصطحبت ثلاثا ارشيدا صحبتني أم غويا

وروى البيت السابع ايضا (اذ برزنا) بدل (وبرزنا) .

ابن الاثير الكامل ١/٥٦٥ الابيات ٦ (فالتقينا بدل فأنفنا) + ٧ (اذ برزنا يدل وبرزنا) + ٨ على الوجه الآتي :

غير ما نائم يروع بالفتك ولكن مقلدا مشرفيا

عيون الاخبار ١/١٨٤ .

المعـــاني :

(٥) وصف نكهة الخمرة الطيبة بدم الظبي الذى يستخرج المسك منه . والرازقي الكتاب أو ثياب تتخذ منه . وهو أيضا عند الطائف .

(٦) عمرو ، اى عمرو بن الاطنابة ، وكان هجا الحارث بن ظالم بقوله :

ابلغ الحارث بن ظالم الرعد يد والناذر النـذور عليـــا

انما يقتل النيام ولا يقتل (م) يقظـــان ذا سـلاح كميـا

فى قصيدة له ذكرها صاحب الاغاني ١١/١٢١ وابن الاثير فى الكامل ١/٥٦٤ .

(٤)

وقال ايضا :

١ الا ابلـــغ النعمـان عني رسـالة فكيف بخطاب الخطوب الاعاظم

٢ وانت طويل البغي ابلغ معـــور فزوع اذا ما خيف احدى العظائم

٣ فما غره والمـــرء يدرك وتـره بأروع ماضى الهم من آل ظالـم

٤ أخي ثقة ماضى الجنان مشـــيع كميش التوالى عند صدق العزائم

٥ فأقسم لولا من تعرض دونـــه لعولي بهدى الحديدة صـــارم

٦ فأقتـــل اقواما لئاما أذلـــة يعضون من غيظ أصول الاباهم

٧ تبنى ســـنان ضلة ان يخيفنـــي ويأمن ما هـذا بفعـــل المسالم

٨ تمنيت جهدا ان تضيـع ضلامتي كذبت ورب الراقصات الرواسم

٩ يمين امرىء لم يرضع اللؤم ثديه ولـم تتكنفـــه عروق الالائـم

معاني المفردات :

(٢) الابلخ المتكبر في نفسه • الجرى على اتيان الفجور • ومعور قبيح السريرة • مريب •

(٣) المشيع الشجاع لان قلبه لا يخذله ، أي يشيعه • كميش التوالى أي مشمر جاد •

(٤) رقص الابل ضرب من سيرها ، والرواسم من الرسيم ضرب من سير الابل ايضا •

(٥)

وقال يخاطب حاجب بن زرارة وقد طلب منه ان يتنحى عن جوارهم :

١ لعمرى لقد جاورت فى حي وائل ومن وائل جاورت فى حي تلب
٢ فأصبحت فى حي الاراقم لم يقل من القوم يا حار بن ظالم اذهب
٣ وقد كان ظني اذ عقلت اليكم بني عدس ظنى بأصحاب يثرب
٤ غداة اتاهم تبع فى جنوده فلم يسلموا المرءين من حي يحصب
٥ فان تك فى عليا هوازن شوكة تخاف ففيكم حد ناب ومخلب
٦ وان يمنع المرء الزرارى جاره فأعجب بها من حاجب ثم أعجب

الاغاني ١١/١٠٠ الزرارى نسبة الى زرارة بن عدس التميمي •

(٦)

وقال أيضا يخاطب الملك النعمان :

١ تعلم ابيت اللعن اني فاتك من اليوم أو من بعده بابن جعفر
٢ اخالد قد نبهتني غير نائم فلا تأمنن فتكي يد الدهر واحذر
٣ اعيرتني ان نلت منا فوارسا غداة حراض مثل جنان عبقر
٤ ـ اصابهم الدهر الختور بخترة ومن لا يق الله الحوادث يعثر
٥ فعلك يوما ان تنوء بضربة بكف فتى من قومه غير جيدر
٦ يغص بها عليا هوازن والمنى لقاء أبي جزء بأبيض مبتر

الاغاني ١١/٩٧ (وكلمة يد فى البيت الثاني لعلها مدى فيتضح المعنى)•
معجم ما استعجم للبكرى مادة (حراض) البيت الثالث فقط •

معاني المفردات :

(٤) الخترة الخديعة •

(٥) جيدر قصير •

(٦) ابو جزء هو خالد بن جعفر الكلابي ، المقصود في القصيدة •

(٧)

وقال :

١ الا سائل النعمان ان كنت سائلا وحي كلاب هل فتكت بخالد
٢ عشوت عليه وابن جعدة دونه وعروة يكلا عمه غير راقد
٣ وقد نصبا رجلا فباشرت جوزه بكلكل مخشى العداوة حارد
٤ فاضربه بالسيف يافوخ رأسه فصمم حتى نال نوط القلائد
٥ وافلت عبدالله منى بذعرة وعروة من بعد ابن جعدة شاهدى

الاغاني ١١/٩٧-٩٨ •

معاني المفردات :

(٢) ابن جعدة هو عبدالله وكان ذا رأي ، وهو عم خالد بن جعفر ، يكلا يحفظ ويحرس •

(٣) رجلا لغة فى رجل • وجوزه وسطه • وحارد غاضب •

(٤) اليافوخ ملتقى عظم الرأس في المقدمة • صمم مضى • ونوط جمع نياط ، ونياط كل شيء معلقه •

(٨)

وقال يرد على قيس بن زهير :

١ أتاني عن قيس بني زهير مقالة كاذب ذكر التبولا

٢ فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتل ثأركم حرزا أصيلا
٣ ولكن قلتم جاور سوانا فقد جللنا حدثا جليلا
٤ ولو كانوا همو قتلوا اخاكم لما طردوا الذى قتل القتيلا

الاغاني ١١/٩٨ .

معاني المفردات :

(١) التبولا الثارات مفرده التبل .

(٩)

وقال أيضا :

١ ابلغ لديك بني قيس مغلغلة اني اقسم فى هزان ارباعا
٢ ـ ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن وباع ذو آل هزان بما باعا
٣ يا ابنا حلاكة لما تأخذا ثمني حتى اقسم افراسا وادراعا
٤ قتادة الخير نالتني حذيته وكان قدما الى الخيرات طلاعا

الاغاني ١١/١١٦ وحذيته عطيته .

(١٠)

وقال :

١ يكلفني الكندى سير تنوفة أكابد فيها كل ذى ضبة مشرى
٢ ـ واقبل دوني جمع ذهل كأنني فلاة لذهل والزعانف من عمرو
٣ ودوني ركب من لجيم مصمم وزبان جارى والخفير على بكر
٤ لعمرى لا اخشى ظلامة ظالم وسعد بن عجل مجمعون على نصرى

الاغاني ١١/١٠٦ والضبة القطعة من الغنم أو بقية منها .

(١١)

وقال :

١ همت عكابة أن تضيم لجيما فأبت لجيم ما تقول عكابة
٢ فما سقي بجيرا من رحيق مدامة واسقي الخفير وطهرى أثوابه

٣ جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر كلا وجدنا أوفياء ذؤابة

الاغاني ١١/١١٦ .

معاني المفردات :

(١) لجيم قبيلة .

(٣) أوفياء . أي انهم اجاروه ، وذوابة اى سادة قومهم .

(١٢)

وقال :

١ لعمرى لقد حلت بي اليوم ناقتي على ناصر من طيء غير خاذل

٢ فأصبحت جارا للمجرة فيهم على باذخ يعلو يد المتطاول

٣ اذا اجأ لفت علي شعابها وسلمى فأنى انتم من تناولى

الاغاني ١١/١٠٧ الاول والثانى (منهم يدل من فيهم) . العقد الفريد ٥/١٤٧ ونهاية الارب للنويرى ١٥/٣٥٤ .

(١٣)

وقال :

١ اذا فارقت ثعلبة بن سعد واخوتهم نسبت الى لؤىّ

٢ الى نسب كريم غير دغل وحي من كارم كل حيّ

٣ وان يك منهم أصلي فمنهم قرابين الاله بني قصىّ

العقد الفريد ٥/١٤٩ .

نهاية الارب ١٥/٣٥٥ . الثالث (وغل بدل دغل) .

(١٤)

وقال في قتله خالد بن جعفر :

١ بالله قد نبهته فوجدته رخو اليدين مواكلا عسقالا

٢ فعلوته بالسيف أضرب رأسه حتى أضل بسلحه السربالا

الكامل في التاريخ ١/٥٦٠ .

(١٥)

وقال يتظاهر بهجو بني أسد حتى يصرف انظار الاسود بن المنذر عنهم :

١ أراني الله بالنعم المنـــدى ببرقة رحرحان وقـــد أراني
٢ لحي الانكدين وحي عبس وحي نعامة وبنى غـــدان

الخزانة للبغدادي الاول وبعده الابيات التالية منسوبة لمالك بن نويرة :

أأن قرت عيـــون فاستقيت غنائم قد يجود بها بنـــاني
حويت جميعها بالسيف صلتا ولم ترعد يداى ولا جناني
تمشى يا ابن عوزة فى تميم وصاحبك الاقيرع تلحياني
ألـــم أك نار رائية تلظى فتتقيا أذاى وترهباني
فقل لابن المذب يغض طرفا على خلع المذلة والهـــوان

ولعل الابيات مختلطة ببعضها من قصيدتين مختلفتين للحارث ولمالك.

(١٦)

وقال بعد ان لحق بمكة وقريش :

١ ـ الا لستم منا ولا نحن منكم برئنا اليكم من لؤى بن غالب
٢ غدونا على نشز الحجاز وانتم بمنشب البطحاء بين الاخاشب

سيرة ابن هشام ١/١٠٠ .
العقد الفريد ٥/١٤٩ .
نهاية الارب للنويري ١٥/٣٥٥ .

(١٧)

وقال فى سجنه لدى الغساسنة فى الشام :

١ لقد قال لي عند المجاهد صاحبي وقد حيل دون العيش هل أنت شارب

٢/١٣٨ ، وانظر ص٧٤٩ وحماسة البحترى ص٢٢٠ والعقد الفريد ١/٦١ والمؤتلف والمختلف ص٦٧ وعيون الاخبار ١/٢٣٧ لمالك بن حريم والأشباه والنظائر ٧/٨ .

(٢٢)

وقال :

١ أنا ابو ليلى وسيفي المعلوب
٢ كم قد اجرنا من حريب محروب
٣ وكم رددنا من سليب مسلوب
٤ وطعنة طعنتها بالمنصوب
٥ ذاك جهيز الموت عند المكروب
٦ هل يخرجن ذودك ضرب تشذيب
٧ ونسب في الحى غير ما شوب
٧ هذا أواني واوان المعلوب
٩ ـ من يشتري سيفي وهذا أثره

امثال العرب للضبي ص ٥٠ البيت (٦ + ٧ + ٨) .

الفاخر للمفضل بن سلمة البيت (١ + ٧) .

مجمع الامثال للميدانى ٢/٢٦٣ البيت (١ + ٧) .

الاغاني ١١/١٠٥ الأبيات (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥) .

الخزانة للبغدادى الابيات (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥) والرابع .

شروح سقط الزند ص١٨٨٨ البيت الاول .

اللسان مادة (علب) البيت الاول .

التاج مادة (شذب) البيت (١ + ٦) .

(٢٣)

وقال :

١ اذا سمعت حتة اللفاع

٢ فادعي ابا ليلى ولا تراعى

٣ ذلك راعيك فنعم الراعي

٤ يجبك رحب الباع والذراع

٥ منطقا بصارم قطاع

٦ يغرى به مجامع الصداع

٧ وتلك ذود الحارث الكساع

٨ دعوت بالله فلا تراعى

الاغاني ١١/١٠٥ ، ١٠٧ البيت ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ ورواه ايضا : يمشى لها بصارم قطاع ٤ + ٦ ، ١١ يسفى يدل يقرب + ٧ .

الكامل فى التاريخ ١/٥٦٠ البيت ١ + ٢ فادعي ابا ليلى فنعم الداعي + ٥ « يمشي بعضب صارع قطاع + ٦ .»

مجمع الامثال للميداني (١ + ٢ + ٣) .

الدرر الفاخرة مخطوطة ورقة ١٢٥ (١ + ٢ + ٣) فلن تراعي بدل ولا تراعي .

المستقصى من امثال للعرب للزمخشرى ١/١٥٤ (١ + ٢ + ٣) .

خزانة الأدب للبغدادى ٣/١٨٦ البيت ١ + ٢ + ٣ + ٥ (يمشى لها بصارم قطاع) + ٧ + ٨ .

واما المفضل الضبي فى امثاله ص ٤٩ فقد اورد الابيات على الوجه الآتى :

١ اني سمعت حنة اللفاع فى النعم المقسم الاوزاع

٢ ناقة ما وليدة جياع أما اذا اجدبت المراعي

٣ فانها تجلب فى الجماع أما اذا خصبت المراعي

٤ ـ فانها تقي من النقاع فادعي أبا ليلى ولا تراعى

٥ ذلك راعيك فنعم الراعي الا يكن قام عليه ناعي

٦ لا تؤكلي العـــام ولا تضـاعي منتطقـــا يصـارم قطـاع

٧ يغري به مجامع الصـداع

قال المفضل ، ان صاحب الابل أبا الطماح بن عمرو بن قعين وقف يرتجز بهذه الابيات • قال فى الاغانى ١١/١٠٥ ، ١٠٧ أن الحارث بـن ظالم هو الذى وضع هذا الرجز على لسان صاحب الابل المذكور ، فالنسبة راجحة للحارث •

(٢٤)

وفى بنى حرملة بن الاشعر يقول الحارث بن ظالم :

١ أبلغ جذيمـة ان عرضت فانني عمدا تركتهم عبيـــد ســـنان

٢ لوكنت من رهط الحرامل لم أعد وبنيت مكـــرمة بكل مكـــان

٣ القاتلين من المنـاذر سـبعة فى الكهف فوق وسائد الريحان

وكتاب نسب قريش للزبير بن بكار ١/٢٦ وجذيمة رهط الحارث بن ظالم • والمناذر النعمان بن المنذر ورهطه • يقول « لو ان قومى مثـل قوم حرملة بن الأشعر ، اذن لبنيت المكارم فى كل مكان ، لكنهم ، وقـد اظهروا عجزهم عن موازرتى ، فقد تركتهم يعانون العبودية على يد سنان بن ابى حارثة الكهف التى قتل فيها بنو حرملة من اشراف المناذرة سبعة • والاشارة الى وسائد الريحان دليل سمو مكانتهم •

مصادر شعر الحارث بن ظالم ومراجع دراسته

١ ـ البغدادي ـ عبدالقادر بن عمر •
خزانة الادب ولب لباب العرب ط بولاق

٢ ـ وفى حاشية الخزانة كتاب شرح الشواهد للعينى •

٣ ـ البحترى ـ ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائى
ديوان الحماسة تحقيق لويس شيخو •

٤ ـ البكري ابو عبيد الله بن عبدالعزيز •

معجم ما استعجم تحقيق السقا .

٥ ـ التبريزي ابو زكريا الخطيب

شرح سقط الزند طبع الدار القومية ١٩٦٤ .

٦ ـ ثعلب ابو العباس احمد بن يحيى

شرح ديوان زهير بن ابى سلمى ط . دار الكتب المصرية .

٧ ـ ابو تمام حبيب بن اوس الطائى

الوحشيات (الحماسة الصغرى) تحقيق الميمني وشاكر .

٨ ـ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام .

الحيوان ط. ساسى

٩ ـ ابن الاثير محمد بن الجزرى

الكامل فى التاريخ . بيروت

١٠ـ الخالديان ابو بكر محمد ، وابو عثمان سعيد .

الاشباه والنظائر ط. لجنة التأليف والنشر

١١ـ ابن دريد محمد بن الحسن الازدى

الاشتقاق ط. مصر خانجى ١٩٥٨ .

١٢ـ الزبيدى محمد بن محمد بن عبدالرزاق

تاج العروس المطبعة المنيرية .

١٣ـ الزبير بن بكار

نسب قريش مكتبة دار العروبة

١٤ـ الزمخشرى ، جارالله ، محمود بن عمر

المستقصى من امثال العرب ط. حيدر آباد .

١٥ـ الزركلى خيرالدين .

الاعلام ط. مصر .

١٦- السهيلى ابو القاسم ، عبدالرحمن بن عبدالله •
الروض الانف • ط الجمالية ١٩١٤
١٧- صدرالدين البصرى علي بن ابى الفرج بن الحسن البصرى •
كتاب الحماسة البصرية • ط• حيدر آباد
١٨- صلاح الدين الهادي
الشماخ بن الضرار ط• مصر •
١٩- الاصفهاني ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموى •
الاغانى • دار الكتب او بحسب الهامش •
٢٠- الضبي - المفضل بن محمد
امثال العرب طبع الجوائب
المفضليات ط• لايل •
٢١- ابن عبد ربه احمد بن محمد الاندلسى
العقد الفريد •
٢٢- ابو عبيدة معمر بن المثنى
نقائض جرير والفرزدق
٢٣- عروة بن الورد العبسي ، الشاعر •
ديوانه •
٢٤ - محمد بن حبيب
المحبر • ط حيدر آباد •
٢٥- المرزوقى ابو علي احمد بن محمد الحسين •
شرح حماسة ابى تمام • ط لجنة التأليف •
٢٦- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي
اللسان ط• بولاق •
٢٧- الآمدى ابو القاسم الحسن بن يحيى بن ابى بشر •
المختلف والمؤتلف • تحقيق عبدالستار فراج ١٩٦١ •

٢٨- ابن ميمون
منتهى الطلب ـ مخطوطة •
٢٩- حمزة الاصفهاني
الدرر الفاخرة مخطوطة •
٣٠- النابغة الذبياني
ديوانه •
٣١- المفضل بن سلمة بن عاصم
الفاخر فى الامثال • طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٩٦٠ •
٣٢- الميداني ابو الفضل احمد بن محمد •
مجمع الامثال ط• القاهرة ١٩٥٥ •
٣٣- النويرى احمد بن عبدالوهاب •
بلوغ الارب • ط دار الكتب المصرية •
٣٤- ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم •
المعاني الكبير ط• حيدر آباد •
الشعر والشعراء ط• دار المعارف بمصر •
عيون الاخبار ط• دار المعارف بمصر •
٣٥- سيبويه
الكتاب ، مع شرح شواهده للاعلم
٣٦- شوقي ضيف
تاريخ الادب ـ العصر الجاهلى
٣٧- امرؤ القيس
ديوانه •
٣٨- عدي بن زيد العبادى
ديوانه ، تحقيق محمد جبار المعيبد

٣٩- جاد المولى وجماعته
ايام العرب •
٤٠- ابن المعتز
طبقات الشعراء •
٤١- اليزيدى
الأمالي •
٤٢- ياقوت الحموي
معجم البلدان طبع لايبزك • والسعادة •
٤٣- البهبيتي
تاريخ الشعر العربى •
٤٤- مالك بن الريب
ديوانه ، تحقيق نورى حمودى القيسى ، ضمن مجلة معهد المخطوطات •
٤٥- القالي ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادى •
الأمالي • ط• دار الكتب المصرية •
٤٦- عادل البياتى - الشعر فى حرب داحس والغبراء •